التعايش والحوار بين الديانات

أ. كـريم نبيـه*

*أستاذ زائر بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكادير/ جامعة ابن زهر - المغرب
Karim.nabih22@gmail.com

ملخص :

التسامح ثمرةٌ للتعايش ونتيجةٌ عنه، فلا يمكن أن يكون التسامح إلا بعد عيش مشترك لجماعة من الناس، تحمل أفكارًا وحوارا وتصورات متباينة، وتمارس عادات متنوعة، وتنتمي إلى ديانات مختلفة، وهو قيمة راقية لا تصدر إلا عن نفوس كريمة، وللتسامح الديني آثارٌ على الفرد والمجتمع، كما أنه يسهم في البناء الحضاري، الذي يعني انطلاق نمط من أنماط السلوك الإنساني المبني على الحوار، يعترف بالآخر، فيؤثر فيه ويتأثر به، وهو ما يعني حضارةً قويةً وممتدةً، لن تعصف بها التقلباتُ المختلفة.

وتوفر حالة التعايش ظروفاً نفسية وجسدية للأفراد والمنظمات والمجتمعات؛ لتقليل التوترات وانتشار السلام والحوار لحلّ أسباب النزاع، كما يخلق التعايش بيئة يمكن من خلالها الحفاظ على أمن جميع الأفراد، ويسمح لهم ببدء حوارات مناسبة وذات نتائج مرضية.

كلمات مفتاحية : التعايش، الحوار، التسامح، الأديان، المذاهب، الصراعات.

Coexistence and Dialogue among Religions

Prof. Karim Nabih

Visiting Professor at the Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Agadir

Ibn Zohr University - Morocco

ABSTRACT :

Tolerance is the fruit of coexistence and a result of it. Tolerance can only form after the coexistence of group of people, carrying different ideas, dialogues and per-

ceptions, practicing diverse customs, and belonging to different religions. It is a noble value that only comes from generous souls. Religious tolerance has effects on the individual and society, and it also contributes to the building of civilization, which means starting a pattern of human behaviour based on dialogue, recognizing the other, influencing him/her and being affected by him/her, which means a strong and extended civilization that will not be ravaged by various fluctuations.

The state of coexistence provides psychological and physical conditions for individuals, organizations, and societies to reduce tensions and spread peace and dialogue to resolve the causes of conflict. Coexistence also creates an environment in which the security of all individuals can be maintained, and allows them to initiate appropriate dialogues with satisfactory results.

KEYWORDS : Coexistence, dialogue, tolerance, religions, sects, conflicts.

مقدمـــــة:

إن قضية التعايش مع الآخر باتت من أهم القضايا المعاصرة التي تشغل العلماء والمفكرين، المسلمين والغربيين على السواء، فقامت مجامع وندوات، وتعالت نداءات تطالب بمزيد من التعايش الحسن مع الآخر.

ويعرف التعايش في اللغة يعني العيش على المحبة والألفة، وتعايش الأشخاص إذا وجدوا في نفس المكان والزمان، والتعايش أيضاً هو مجتمع تتعدد طوائفه، ويعيشون فيما بينهم بانسجام ووئام على الرغم من كل الاختلافات من حيث الأديان أو الأعراق أو اللغات، والتعايش السلمي يعني بيئة يسود فيها التفاهم بين فئات المجتمع المختلفة دون اللجوء إلى استخدام القوة، ويأتي التعايش على وزن (تفاعل) مما يدل على وجود العلاقة المتبادلة بين الأطراف المتعايشة.

أما التعايش اصطلاحاً: فهو اجتماع مجموعة من الناس في مكان واحد، حيث تربطهم وسائل العيش من الطعام، والشراب، وأساسيات الحياة، بغض النظر عن الدين أو الانتماءات الأخرى، حيث يعرف كل منهم حقوقه وواجباته

دون اندماج أو انصهار تام[1].

لقد أصبح الحوار والتعايش الديني ضروريا بين الأديان في الوقت الحالي؛ وذلك بسبب تأثير الدين في حياة الشعوب ودوره في تشكيل العلاقات الدينية، بل وتأثير ذلك في أحيان كثيرة في العلاقات السياسية والاقتصادية والفكرية. ولتأكيد هذا فإن ظاهرة الأصولية الدينية التي انتشرت في الدوائر اليهودية والمسيحية تؤثر تأثيرا كبيرا في صنع القرار السياسي والاقتصادي ولا يمكن إغفال دورها في توجيه السياسة والرأي العام.

أصبح الحوار والتعايش الديني ضروريا بين الأديان في الوقت الحالي؛ وذلك بسبب تأثير الدين في حياة الشعوب ودوره في تشكيل العلاقات الدينية

إن الحوار الديني في العالم الحديث له تأثير في سياسات الدول؛ لأن الدين لا يزال هو المحرك للعلاقات، وجدور الحروب السياسية والاقتصادية قد تكون أحيانا دينية، ولذلك فالحوار والتعايش الديني إذا كان جادا فقد يؤدي إلى علاج بعض المشاكل السياسية والاقتصادية، ومن المعروف أن الدين قديما وحديثا يفرق بين الشعوب ويوجه سياساتها، كما أن المذاهب والأيديولوجيات المعاصرة تلعب نفس الدور الذي يلعبه الدين في توجيه سياسات الشعوب، وهذا يظهر أهمية الحوار الديني في التأثير في مسيرة العلاقات السياسية والاقتصادية فضلا عن توجيه العلاقات الدينية بين الشعوب، وقديما نشبت الحروب الدينية بين الأديان والفرق ولا يزال يكمن في الدين الذي خلف الكثير من الصراعات الحديثة والمعاصرة. ولذلك فالحوار بين الأديان يخفف من حدة الصراع الديني، ويقلل من فرص اللجوء إلى الحرب لأسباب دينية ويدفع إلى مناخ من التسامح الديني، وقبول الاختلاف في الاعتقاد وإشاعة السلام بين الشعوب.

كما تطور الحوار والتعايش الديني في الغرب الحديث المعاصر ليلبي حاجتين في وقت واحد، فمع تطور الدراسة العلمية للدين في الغرب وظهور علم تاريخ الأديان وعلم مقارنة الأديان، ظهرت الحاجة إلى الحوار بين الأديان لتلبية حاجة علمية وهي استخدام

(1) ومن المصطلحات التي لها علاقة بالتعايش مصطلح»التسامح»، ويمكن تعريفه كما يلي: يعرفه الدين الإسلامي على أنه مبدأ إنساني يدفع الشخص إلى نسيان الأحداث الماضية، والتي سببت له الألم والأذى بكامل إرادته، وكذلك التخلي عن فكرة الانتقام، والعلم بأن كل البشر خطاؤون، وهو الإحساس بالرحمة والعطف والحنان. ويعرف التسامح اصطلاحاً على أنه القدرة على العفو عن الناس، وعدم رد الإساءة بالإساءة، والتحلي بالأخلاق الرفيعة التي دعت لها كافة الديانات والأنبياء والرسل، وهذا كله سيعود على المجتمع بالخير من خلال تحقيق الوحدة والتضامن والتماسك.
وفي الاصطلاح إحسان معاملة الآخر وإقامة العدل معه، والصفح عن زلاته، رجاء هدايته، فهو سلوك يختص بالجوار، وقول لطيف ومنطق جميل، وإنصاف حكيم.

الحوار كوسيلة للحصول على المعرفة الدينية المباشرة، والتعمق في فهم الظاهرة الدينية والدخول في حوار ديني مع الممارسين لدين معين[2].

أما الحاجة الثانية التي أدت إلى نشأة الحوار والتعايش الديني وتطوره في الغرب فهي محاولة استخدام الحوار الديني لحل قضايا الصراع الديني بين الشعوب المختلفة الأديان من ناحية، أو بين أبناء الشعب الواحد المنتمي إلى عدة أديان أو مذاهب دينية داخل الدين الواحد من ناحية أخرى. فكما حدث على مستوى الصراع السياسي والاقتصادي من عودة إلى الحوار والتفاوض لحل القضايا السياسية والاقتصادية، فقد تم اللجوء إلى الحوار الديني لفض النزاعات الدينية بين أهل الأديان والفرق. ويجب أن ننوه إلى أن تعدد المذاهب الدينية داخل الدين الواحد في الغرب، وكذلك تعدد الأديان في البلاد الغربية، جعل من الحوار الديني ضرورة للتقريب بين المذاهب المختلفة والأديان المتعددة[3].

فما هي أهداف التعايش والحوار بين الأديان؟ وما موقف الإسلام منه؟وماهي التحديات التي يواجهها؟

أهمية الدراسة:

لقد أصبح الحوار والتعايش السلمي مظهرا أساسيا من مظاهر حياتنا المعاصرة. فبعد قرون من الصراع على المستويات السياسية والعسكرية والحضارية والفكرية اكتشفت الشعوب أن الصراع بانعكاساته المختلفة لم يؤد إلى علاج المشاكل المختلفة التي نشبت بين الشعوب لأسباب سياسية ودينية وفكرية. وبدأت فكرة الحوار في النشوء والتطور لتصبح من الضرورات الحيوية في حياتنا المعاصرة تدفع إليها الرغبة الماسة في تحسين العلاقات بين الشعوب والأفراد داخليا وخارجيا، أي على مستوى العلاقات الداخلية بين أفراد الشعب الواحد، وعلى مستوى العلاقات الخارجية أي بين الشعوب المختلفة التي تشترك في حياة هذا العالم.

(2) وإذا انتقلنا إلى الحوار على المستوى الديني نجد أن النصف الثاني من القرن العشرين شهد ظهور الحوار الديني كمعلم واضح من معالم العلاقات الدينية بين الشعوب. والحقيقة أن النشأة الأولى للحوار بين الأديان تعود إلى البيئة الإسلامي في قرون الهجرة الأولى عندما تطور علم تاريخ الأديان عند المسلمين، واتخذ من الحوار الديني وسيلة لتقريب الأديان إلى الأذهان وفهمها من خلال الاحتكاك العلمي بأهلها والحصول على المعرفة الدينية المباشرة عنها. فالحوار وسيلة للفهم الديني وقد اختلفت في هذا عن الجدل الديني الذي كان سائدا وبخاصة في علم إسلامي آخر أقدم من علم تاريخ الأديان ألا وهو علم الكلام عند المسلمين، وهو علم دفاعي بطبيعته يدافع عن أصول الدين كما يستخدمه أهل المذاهب والفرق المختلفة في الدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم.

(3) وبالإضافة إلى ضرورة الحوار لتوحيد العالم المسيحي والتقريب بين المذاهب المسيحية، احتاجت المجتمعات الغربية في أوربا وأمريكا إلى الحوار الديني كوسيلة للتقريب بين الجماعات المنتمية إلى عدة ديانات متنامية في المجتمع الغربي. ومن أهم هذه الجماعات اليهودية ذات التواجد السياسي والاقتصادي القوي في المجتمعات الغربية والتي حافظت على هويتها الدينية داخل العالم المسيحي، وتراوحت أوضاعها بين الاضطهاد والتسامح إلى أن استقرت أوضاعها في ظل الديمقراطية الغربية التي أرست مبدأ التعددية الدينية فازدادت الحاجة إلى تقوية العلاقات الدينية وتنظيم هذه العلاقات على أساس من الديمقراطية وحرية الاعتقاد. وتعتبر الجماعات اليهودية في الغرب من أهم الجماعات المستفيدة من هذا الوضع وإن ظلت لفترة تنظر بعين الشك والريبة إلى المحاولات المسيحية للدخول في حوار ديني معها. ويأتي الإسلام في المرتبة التالية لليهودية من حيث الأهمية في المجتمعات الغربية.

منهجية البحث:

سنعتمد منهجا تكامليا في دراسة الظاهرة، بحيث سأتناول المنهج الوصفي لوصف الظاهرة وتحليلها وتقييمها وتحليلها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي.

خطــة البحــث:

جاء هذا البحث مشتملا على مقدمة عامة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: أهداف التعايش والحوار بين الأديان وشروط نجاحه

المطلب الأول: أهداف الحوار بين الأديان والتسامح بينهم

المطلب الثاني: شروط نجاح الحوار والتسامح بين الأديان

المبحث الثاني: أسس التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام والتحديات التيتواجهه

المطلب الأول: مبادئ التعايش في الإسلام وجوانبه:

المطلب الثاني: أبرز التحديات التي تواجه التعايش الديني والاجتماعي

المبحث الأول: أهداف التعايش والحوار بين الأديان وشروط نجاحه

سنقوم بتقسيم هذا المبحث على مطلبين نتناول في الأول مختلف أنواع أهداف الحوار بين الأديان، على أساس أن نتناول في المطلب الثاني الشروط اللازم توفرها لنجاح الحوار والتعايش بين الأديان.

المطلب الأول: أهداف الحوار بين الأديان والتسامح بينهم

لا شك أن هناك عدة أهداف للتعايش تبدأ بالتقريب بين الأديان والمذاهب والفرق، ثم دعم قاعدة الاتفاق والتعددية الدينية وتطوير أسلوب الخطاب الديني، ودعم الاعتدال في التدين، لتنتهي بتحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان.

أولا: الحوار الديني والتقريب بين الأديان

للحوار والتسامح بين الأديـان أهداف متعددة بعضها أهداف سياسية كانت وراء التفكير هي نشأة الحوار وتطويره، ومن أهمها

مسألة التقريب بين الأديان المختلفة، وكذلك التقريب بين الهدف الأول، إذا أخذنا في الاعتبار النشأة المسيحية للحوار الديني والتي ركزت على التقريب بين المذاهب المسيحية وبخاصة التقريب بين البروتستانتية والكاثوليكية، وكذلك التقريب بينهما وبين المسيحية الشرقية الأرثوذكسية.

للحوار والتعايش الديني أيضا أهداف ثانوية هي نتيجة من نتائج الهدفين الكبيرين وهما التقريب بين الأديان والتقريب بين المذاهب والفرق. فمن النتائج المتوقعة لعملية التقريب هذه أن تتحقق مجموعة من أهداف جانبية مهمة، منها القضاء على التعصب الديني بين أهل الأديان والفرق، والقضاء بالتالي على التطرف الديني والغلو في الدين وما يمكن أن ينتج عنهما من عنف وإرهاب. ومن هذه الأهداف أيضا القضاء على الجدل الديني الدفاعي، ونشر مبادئ التسامح الديني والمحبة. تم القضاء على الجدل الديني الدفاعي، ونشر مبادئ التسامح الديني والمحبة، والمحصلة النهائية لهذه الأهداف نشر السلام بين الشعوب، وبين أصحاب الدين الواحد، والتخفيف من حدة الصراعات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يكون الدين أحد الأسباب الرئيسية لنشوبها، بل والتخفيف أيضا من الصراعات الثقافية والفكرية والدينية التي يتسبب فيها الاختلاف بين الأديان والرغبة في فرض سيادة دين معين أو مذهب معين على بقية الأديان أو المذاهب.

للحوار والتعايش بين الأديان والتقريب بينها أهدافا دينية وإنسانية مهمة، منها جمع الأديان على هدف روحي واحد هو الأصل في وظيفة الدين ألا وهو إقامة الحياة الإنسانية

فالتقريب بين الأديان كهدف رئيسي من أهداف التعايش بين الأديـان لا يسعى إلى صياغة فرق ومذاهب دينية تلفيقية، فالحوار بين الأديان يحافظ أولا على استقلال كل دين من الأديان، ولا يطالب أهل الأديان بالتنازل عن بعض عقائدها من أجل التقريب بينهما، كما أنه لا يسعى إلى تلفيق دين جديد يرضى به الجميع فيستغنون عن دينهم الأصلي.

إن للحوار والتعايش بين الأديان والتقريب بينها أهدافا دينية

وإنسانية مهمة، منها جمع الأديان على هدف روحي واحد هو الأصل في وظيفة الدين ألا وهو إقامة الحياة الإنسانية على أسباب ودعائم دينية وروحية، تؤدي إلى الارتقاء بالقيم الإنسانية وبناء قاعدة دينية أخلاقية للتعامل بين الأفراد من ناحية وبين الشعوب من ناحية أخرى. وهذا الهدف الديني الروحي متشعب الأغراض ومتعدد النتائج، فهو يعطي خلفية دينية روحية تقوم عليها العلاقات الإنسانية، وتجعل من خدمة الإنسانية هدفا أسمى للحوار بين الأديان، كما أن الحوار بين الأديان يقرب المسافات الدينية بينها، ويضع المعرفة الدينية المتراكمة عبر القرون والخبرات الدينية المختلفة في خدمة تنمية الوعي الديني والقيم الأخلاقية المشتركة التي تؤدي إلى توحيد الإنسانية وتقوية علاقات الشعوب، والحد من نزاعاتها وصراعاتها، وتحقيق الأخوة الإنسانية على المدى البعيد.

فالأديان لا تختلف كثيرا في أهدافها وقضاياها إنما تختلف في رؤيتها، وأسلوب معالجتها لهذه القضايا

والتقريب بين الأديان يتم أيضا من خلال الحوار لمواجهة العدو المشترك لكل الأديـــان، وهو المتمثل في الاتجاهات والمذاهب اللادينية مثل الشيوعية والإلحاد والعلمانية وغيرها من المفاهيم والأيديولوجيات الرافضة للدين والمعادية له. وقد نجحت هذه الاتجاهات المنحرفة في غزو الحياة الفكرية للإنسان وإضعاف الأساس الديني والأخلاقي للحياة الإنسانية، وسعت إلى عزل الدين عن الحياة، كما سعى بعض هذه الاتجاهات إلى إلغاء الدين وإبطال دوره في تسيير الحياة الإنسانية كما فعلت الشيوعية والاتجاهات المادية الإلحادية. ولا يوجد دين من الأديان الحية لم يتعرض للغزو العلماني الشيوعي الإلحادي الحديث. ونظرا لأن هذه الاتجاهات الرافضة للدين صناعة غربية فقد أصاب أول ما أصاب ديانات الغرب الأساسية وهي المسيحية واليهودية، ثم انتقلت العدوى إلى الديانات الأخرى ومن بينها الإسلام وديانات الشرق الأقصى.

إذن هناك خطر مشترك وتهديد عام موجه ضد الأديان ومهدد لوجودها، وهو أمر جلل يجعل من الحوار بين الأديان ضرورة كبرى

لإنقاذ أديان العالم من الضياع والهلاك، ولإعادة الأساس الديني والأخلاقي لحياة الشعوب، والغرب في أمس الحاجة إلى هذا الحوار لأن فيه إنقاذا لليهودية والمسيحية، وخلاصا لهما من الاتجاهات القوية المضادة للدين[4]. ولأن الإسلام وبقية الديانات الموجودة في الشرق لا تزال تملك القوة التي تمكنها من مواجهة العلمانية والإلحاد ويمكنها مساعدة اليهودية والمسيحية الغربية وإنقاذها، وذلك بتقديم العون الديني ودعم الروح الدينية في الغرب وإيقاظ الخبرة الدينية النائمة، وبعث الوعي الديني، وإحياء الدين كقاعدة أساسية للحياة الإنسانية. والدليل على حاجة الغرب إلى هذا العون الديني أن الإنسان الغربي بعد أن فقد اليهودية والمسيحية وأصبح في فراغ ديني لم تملأه الاتجاهات المضادة للدين فسعى إلى ديانات الشرق يقرأ عنها ويتثقف فيها، ويستمد منها الزاد الديني المفقود الأمر الذي أدى إلى حدوث ظاهرة التحول الديني في الغرب واتساعها كتعبير صادق عن أهمية الدين في حياة الإنسان[5].

(4) محمد (خليفة حسن)؛ الحوار بين الأديان، أهدافه وشروطه والموقف الإسلامي منه، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية، مارس 2003، ص: 17.

(5) نفس الرجع، ص: 18.

والتقريب بين الأديان عن طريق الحوار له هدف آخر مهم وهو تحقيق الأهداف المشتركة للأديان، فالأديان لا تختلف كثيرا في أهدافها وقضاياها إنما تختلف في رؤيتها، وأسلوب معالجتها لهذه القضايا، ووسائل تحقيقها لهذه الأهداف. ومن هنا يمكن أن تستفيد الأديان بعضها من بعض في تحقيق الأهداف وعلاج القضايا، ونعتقد أن الهدف المشترك لكل الأديان هو تحقيق السعادة للإنسان في دينه ودنياه[6].

(6) وقد تختلف الأديان حول تحديد معنى السعادة وطبيعتها وسبل تحقيقها لارتباط هذا كله بالمضمون العقدي لكل دين وبالأسلوب الديني الذي اختطه كل دين لأتباعه لتحقيق هذا المضمون العقدي، حيث اتخذت بعض الأديان منهجا تشريعيا بينما التزمت بعض الأديان الأخرى بمنهج أخلاقي بعيد عن التكاليف الشرعية، واعتمدت بعض الأديان الأخرى على الأسلوب أو المنهج الزهدي التصوفي بينما طورت بعض الأديان منهجا للخلاص يرتبط بالاعتقاد الأساسي فيها وهو فهم للألوهية من زاوية الوظيفة الخلاصية للإله.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات الجوهرية المرتبطة بطبيعة الاعتقاد ومضمونه تتفق الأديان على أن هدفها واحد وهو تحقيق السعادة الإنسانية من خلال نظام أو نسق ديني يترجم مضمون الدين في الحياة العملية للإنسان. وبصرف النظر عن الطريق الذي يحقق له أفضل علاقة مع أخيه الإنسان من ناحية ومع خالقه أو معبوده من ناحية أخرى.

ولأن الإنسان مهما اختلفت ديانته يواجه واقعا واحدا، وظروفا

معيشية واحدة ومشاكل حياتية واحدة فإن الأديان طورت وسائل ومناهج مختلفة لتنظيم الحياة الإنسانية ولمواجهة الواقع الإنساني، وحل مشاكل الوجود الإنساني على الأرض. وهنا تبرز أهمية الحوار بين الأديان وبخاصة بعد أن توحدت مشاكل الإنسان وتشابهت في كل مكان، وأصبح للأديان مواقفها السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية ولا تعيش في عزلة عن مشاكل إنسانها وقضاياه العصرية[7].

(7) محمود (حمدي زقزوق)؛ القرن الجديد وخيار الحوار الحضاري، الأهرام 1999/8/23.

فضلا عن هذا التعاون المثمر بين الأديان والحوار الفعال بينها لمصلحة المجتمعات الإنسانية يمكن للحوار أيضا أن يسهم في مواجهة التطرف الديني وهي مشكلة عامة تواجه كل الأديان الحية، فقد انتشرت ظاهرة التطرف الديني وما يصاحبها من تشدد وتزمت وإرهاب وعنف في كل المجتمعات الإنسانية تقريبا. وهي مشكلة لها بعدان: بعد داخلي ينتج عنه توزع أهل الدين الواحد إلى فئتين على الأقل: فئة متمسكة بالدين في نظامه الأساسي الأصلي وفئة متطرفة خارجة على هذا النظام ومنحرفة عنه بتفسيراتها المتشددة والمتزمتة لتعاليم الدين والذي ينعكس على علاقاتها ومعاملاتها مع الفئة الأولى. أما البعد الخارجي فهو يتمثل في اتساع دائرة التطرف الديني لتصبح ذات تأثير على علاقات الأديان بعضها ببعض، وفي البيئة المتعددة الأديان الأخرى داخل المجتمع الواحد. والنتيجة النهائية تدمير لحياة المجتمع، وزعزعة للاستقرار الاجتماعي، وخلخلة للأمن القومي، وانعكاسات سلبية على العلاقات الدولية للمجتمع.

ثانيا: الحوار الديني والتقريب بين المذاهب والفرق

اتضح أن التقريب بين الأديان يسهم في علاج القضايا الإنسانية التي تواجه البشرية في كل مكان. ونظرا لاختلاف الخبرات الدينية واختلاف الحلول التي تقدمها الأديان للمؤمنين بها. فإن تعاون الأديان يساعد على تكوين رؤية شاملة للقضايا، وعلى الوصول إلى حلول متنوعة وفعالة لمشاكل الإنسانية وبخاصة إذا تم توظيف تأثير الأديان في الشعوب توظيفا جيدا وصحيحا لعلاج مشاكل الشعوب

وبناء مستقبل أفضل للإنسانية.

فضلا عن فائدة الحوار بين الأديان في التقريب بين الأديان على المستويات السابقة المذكورة، فإن الحوار الداخلي بين مذاهب وفرق الدين الواحد يؤدي إلى تحقيق التقارب بين هذه الفرق والمذاهب الداخلية. ويعد الحوار الداخلي على نفس القدر من الأهمية التي للحوار الخارجي بين الأديان. والحقيقة أنه بدون الوفاق والتقارب بين أهل الدين الواحد لا يمكن أن يتم وفاق بين أهل الأديان، فإن النتائج الإيجابية أو السلبية التي تنتج عن الحوار الداخلي تؤثر إيجابا وسلبا في الحوار الخارجي بين الأديان، والحقيقة أنه في بعض الأحيان يكتسب الحوار الداخلي شكل الحوار الخارجي، وذلك لأن معظم دول العالم تتعدد فيها الأديان والمذاهب الأمر الذي يجعل من الحوار فيما بينها داخليا عاملا مساعدا في حل مشاكل الأديان وتحسين علاقاتها بعضها مع بعض.

الحوار الداخلي بين مذاهب وفرق الدين الواحد يؤدي إلى تحقيق التقارب بين هذه الفرق والمذاهب الداخلية

والحوار الديني بين الفرق والمذاهب بالتأكيد يقربها من أصولها الأولى التي نشأت وتطورت عنها، وقد تؤدي إلى نوع من التوحيد الديني مع المحافظة على استقلالية الفرق والمذاهب الفرعية[8].

ثالثا: الحوار الديني ودعم قاعدة الاتفاق والتعددية الدينية

يختلف الحوار الديني بطبيعته عن الجدل في أن الحوار الديني يحتوي ضمنا على عناصر الاتفاق والتقارب بين الأديان بينما الجدل يشير ضمنا إلى عناصر الاختلاف والتباعد بين الأديان والمذاهب، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الطبيعة الإيجابية في الحوار بين الأديان في قوله تعالى «قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» آل عمران، الآية 64. فالآية الكريمة تدعو إلى الحوار الديني بين المسلمين وأهل الكتاب وتشير إلى عناصر الاتفاق بين اليهودية والمسيحية والإسلام

أن الحوار الديني يحتوي ضمنا على عناصر الاتفاق والتقارب بين الأديان بينما الجدل يشير ضمنا إلى عناصر الاختلاف

(8) صوفي (أبو طالب)؛ الحوار بين الأديان في كتاب: الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، القاهرة 1996، ص: 97.
أنظر كذلك عدنان (رضا النحوي)؛ قاعدة الأخوة في الحوار الإسلامي، مجلة رسالة التقريب، العدد 23، طهران، 1999، ص: 8، 2.

كأساس للحوار بينهم، وتستبعد ضمنا عناصر الاختلاف التي أدى إليها التطور التاريخي لكل من اليهودية والمسيحية. بل إن الإسلام يتجاوز تاريخ الاختلاف بين الديانات الثلاث، ويطالب بالعودة إلى شكل بسيط وفطري للتوحيد يمثله دين إبراهيم عليه السلام الذي سمى بدين الفطرة، واختيار إبراهيم عليه السلام اختيار مقصود فهو نبي مرسل تعترف به اليهودية والمسيحية والإسلام وتعتبره أبا لكل الأنبياء عليهم السلام «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» العنكبوت الآية 27، وتعتبر دينه أساسا لها وقد صدق القرآن الكريم حيث وصف إبراهيم عليه السلام بقوله «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما» آل عمران، الآية 67، فالآية تؤكد على أسبقية إبراهيم عليه السلام التاريخية وظهور دينه قبل ظهور اليهودية والمسيحية وأن دينه كان الإسلام فهو رمز الطاعة والاستسلام للإرادة الإلهية من ناحية، وهو في نفس الوقت رمز لدين الفطرة السليمة قبل أن تلتحق التعقيدات الدينية واللاهوتية بعقيدة التوحيد[9].

(9) صادق (محمد الجبران)؛ من اجل قواعد للحوار الإسلامي، مجلة رسالة التقريب، طهران، 1999، ص: 219.

رابعا: الحوار بين الأديان وتطوير أسلوب الخطاب الديني

من أهداف الحوار بين الأديان تغيير أسلوب الخطاب الديني في مجال العلاقات بين الأديان وهو أسلوب الجدل الديني الدفاعي، واستبداله بأسلوب الحوار. وتعتبر هذه نقلة فكرية نوعية في أسلوب التعامل بين الأديان تنهي قرونا من تاريخ الجدل الديني الذي ساده التعصب الديني، وحركته أسباب الدفاع التي نظرت إلى علاقات الأديان بعضها البعض على أنها علاقات تحد وصراع ومنافسة، وهي أسباب أدت إليها عوامل تاريخية ودينية معروفة في التاريخ الماضي للأديان.

من أهداف الحوار بين الأديان تغيير أسلوب الخطاب الديني في مجال العلاقات بين الأديان وهو أسلوب الجدل الديني الدفاعي

وقد أدى تطور الحوار في التاريخ المعاصر في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية وظهور فكرة حوار الأديان وحوار الحضارات إلى ضرورة التفكير في أسلوب بديل للتعامل بين الأديان والحضارات، بدأ بطرح الخيار بين التقاء الأديان والحضارات

إلى الأخذ بمبدأ التقاء الأديان والحضارات مناديا بتغيير أسلوب التفكير الشائع في عصور الصراع، وهو الأسلوب الدفاعي الجدلي والاعتماد على الحوار بدلا من الجدل.

وفي بعض فترات التسامح الديني تم اللجوء إلى المحاورة والمناظرة لمناقشة المعتقدات الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام. وقد عرفت البيئة الإسلامية هذا النوع من المحاورات والمناظرات والمساجلات التي ناقش فيها المتحاورون أعقد المسائل الدينية وفي روح من الموضوعية والتسامح تعد نادرة في ظل مناخ الصراع بين هذه الأديان في ذلك الوقت[10].

(10) علي (فهد الزميع)؛ الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 15، القاهرة، 1996، ص: 78.

خامسا: الحوار ودعم الاعتدال في التدين

يتولد عن الطبيعة الأساسية لكل من الحوار الديني والجدل الديني الدفاعي عدة أمور مهمة في تشكيل العلاقات الدينية بين الشعوب والأفراد. فالحوار الديني يشير بطبيعته إلى حرية التعبير الديني، فالمحاور له كل الحرية في إعطاء رأيه الديني الذي يمثل ديانته أو مذهبه في كل القضايا الدينية المطروحة في الحوار مع الأديان الأخرى، كما أنه يحترم في الوقت نفسه الرأي الديني الآخر المعبر عن آراء الأديان الأخرى المشتركة في الحوار وذلك انطلاقا من الاعتقاد في التعددية الدينية والاعتراف بالأديان الأخرى، وكذلك انطلاقا من احترام المشاعر الدينية للآخرين. والاعتراف باختلاف التجارب والخبرات الدينية.

أما الجدل الديني الدفاعي الهجومي فإنه لا يأخذ بحرية التعبير الديني، ويعترض على الرأي الديني الآخر انطلاقا من عدم الاعتراف أصلا بالتعددية الدينية وحرية الاعتقاد، ولذلك فهو جدل لا يحترم مشاعر المخالفين في الدين، ويميل دائما إلى تسخيف معتقدات الآخرين والسخرية منها، وإثارة الشبهات حولها.

تشير العناصر السابقة الذكر إلى أن النتيجة النهائية للحوار بين الأديان والمذاهب تؤدي حتما وبطبيعة الحوار إلى تولد حالة من الاعتدال الديني والوسطية في حالة الحوار الديني. بينما يؤدي

الجدل الديني الدفاعي الهجومي إلى نمو الغلو في الدين، والتطرف فيه، والتعصب للمذهب. وعن الاعتدال، والوسطية تتولد مجموعة صفات تتناقض وتتضاد مع الصفات التي يولدها الغلو والتطرف الديني. فالاعتدال والوسطية نتيجة ضرورية للحوار.فالاستماع للآخر والتحاور معه يؤدي إلى مزيد من الفهم والتعمق المؤدي إلى تحقيق درجة من الاقتراب والقرب الديني على مستوى المعاني والدلالات الدينية للموضوع الديني المطروح للحوار[11].

(11) صادق (الجبران)؛ مرجع سابق، ص: 22.

سادسا: الحوار الديني وتحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان:

يسعى الحوار بين الأديان إلى تحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان، ويعتبر هذا فارقا جوهريا بين الحوار الديني والجدل الديني. فالأول يهدف إلى فهم الأديان والمذاهب باستخدام الحوار كوسيلة علمية وتعليمية ولطرح التساؤلات الهادفة إلى تحقيق الفهم وإدراك المعنى، فضلا عن هدف الفهم يهدف الحوار إلى تحقيق التفاهم بين الأديان لمعرفة نقاط الالتقاء من أجل دعمها وتقويتها، والتعرف على نقاط الاختلاف من أجل فهمها والتقريب بينها مع عدم اتخاذ التخلص منها كهدف للحوار، وذلك لأن نقاط الاختلاف تمثل خصوصية الأديان وهويتها، وتظهر شخصيتها في مواجهة الأديان الأخرى. ولذلك فالحوار البناء يحافظ على استقلالية الأديان، ويبني العلاقة بين الأديان على أساس من قبول التعددية الدينية وحرية الاعتقاد والتدين كمبادئ أساسية ثابتة للحوار بين الأديان[12].

يسعى الحوار بين الأديان إلى تحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان، ويعتبر هذا فارقا جوهريا بين الحوار الديني والجدل الديني

(12) عبد العزيز (التويجري) الهوية والعولمة، رسالة التقريب، العدد 23 طهران، 1999م، ص: 132.

المطلب الثاني: شروط نجاح الحوار والتسامح بين الأديان

لنجاح التعايش والحوار بين الأديان في أداء مهمته لابد أن تتوفر فيه بعض الشروط: منها الاستقلالية وديمقراطية الحوار، ثم استمرارية وروحانية الحوار.

أولا: استقلالية الحوار بين الأديان

وبدون خوض في تفاصيل هذه المسألة التي ربما نعود إليها في

نقطة أخرى نرى أن الحوار بين الأديان يجب أن يتحرر من كل تبعية لأي دين من الأديان أو مذهب من المذاهب حتى تزول مخاوف المشتركين فيه من استغلال الحوار لتحقيق مصلحة دين على دين آخر أو في مواجهة الأديان الأخرى. وبداية نقول: إن لكل دين مشترك في الحوار أهدافه الخاصة به والتي يسعى إلى تحقيقها من الحوار.

وفي سبيل تحقيق استقلالية الحوار بين الأديان وتحريره من التبعية لدين معين يجب التفكير في وضع بنية للحوار بين الأديان وتنظيم مستقل عن الأديان ذاتها وبخاصة في مؤسساته العليا، فالحوار في بنيته الهرمية لابد أن يبدأ من القاعدة التي يطور فيها كل دين على حدة اهتماما بالحوار على المستويين الداخلي والخارجي. ومن الطبيعي أن يكون للدين هنا تنظيماته الخاصة بالحوار بين المذاهب الدينية الداخلية فيه بالحوار بينه كدين واحد وبين الأديان الأخرى، ويصح لأي دين هنا ان يرتب أولويات الحوار الديني بالنسبة له، فقد يكون الحوار الديني مع مذهب معين أولى من الحوار مع مذهب آخر، كما قد يكون الحوار مع دين معين أولى من الحوار مع ديانات أخرى. فهناك أولويات في الحوار تمليها ظروف كل دين وأوضاعه الدينية والداخلية، وقد خضع الحوار الديني في الغرب بالفعل لهذه الأولويات فوجدنا الحوار بين الكاثوليكية والبروتستانتية يأخذ المكانة الأولى والأهمية الأولى على المستوى الداخلي[13].

فالأولوية هنا تحددها ظروف كل منطقة إسلامية على حدة، وإن كنا سنكتشف في النهاية أن الدين الإسلامي سيدخل بهذا الشكل في حوار مع كل أديـان العالم وهي ميزة لا نجدها في الأديان الأخرى حتى مع المسيحية ذاتها التي رغم عالميتها فهي ديانة غربية واحتكاكها الأكبر باليهودية والإسلام والتنصير هو الذي جعلها في حاجة إلى الحوار مع الأديان الأخرى، ولذلك لا نستغرب النشأة التنصيرية للحوار بين الأديان في الغرب.

فاستقلالية الحوار نابعة أصلا من مبدأ استقلالية الأديان وتحريرها من التبعية الدينية، وعلى الأديان أن تتخلص من نزعة السيطرة

(13) كما وجدنا أن الحوار بين الكاثوليكية واليهودية وبين البروتستانتية واليهودية يحتل أيضا المرتبة الأولى في حوارات المسيحية مع الأديان الأخرى.

التي تمارسها على الأديان الأخرى والميل إلى فرض هذه السيادة المستقلة والتي يمكن أن تتحقق من خلال إنشاء هيئة عليا للحوار بين الأديان أو مؤسسة عالمية مستقلة يتوفر لدى أعضائها القدرة على إدارة الحوار في استقلالية تامة وتنظيم شؤون الحوار بين الأديان بدون تبعية لأي من الأديان المشتركة في هذه الهيئة أو المؤسسة العليا العالمية. وتضع هذه الهيئة العليا العالمية الأهداف المشتركة للحوار بين الأديان. وهي أهداف عليا لا يمكن النزول بها إلى مستوى خدمة دين معين على حساب الأديان الأخرى، أو استغلالها لتمكين دين معين من فرض السيادة على بقية الأديان. ويجب الربط بين استقلالية الحوار بين الأديان ومبدأ استقلال الأديان بل واستقلال الشعوب ذاتها فبدون هذا الشعور المتبادل بالاستقلالية لا يمكن للحوار بين الأديان أن ينجح في تحقيق أهدافه العامة لخير البشرية.

استقلالية الحوار نابعة أصلا من مبدأ استقلالية الأديان وتحريرها من التبعية الدينية

ثانيا: ديمقراطية الحوار

تتبع ديمقراطية الحوار بين الأديان من استقلالية الحوار وعدم تبعيته لدين من الأديان كما أنها ترتبط أيضا باستقلالية الأديان ذاتها، وشعور أهل الأديان جميعا بأنهم متساوون في علاقاتهم بعضهم ببعض، وأنه ليس لدين معين الحق في فرض السيادة على الأديان الأخرى في أية صورة من الصور. والحقيقة أن استقلالية الحوار وديمقراطيته تتطلب إجراء تغييرات جذرية في تصور الأديان لذاتها ولعلاقاتها بالأديان الأخرى، وهي مسألة تبدو في غاية الصعوبة ولكن يبدو أن استقلالية الحوار وديمقراطيته لايمكن أن تتحقق بدون تضحية من بعض الأديان التي تعتبر نفسها ذات سيادة وتمارس هذا الشعور نظريا وعمليا في علاقتها بالأديان الأخرى.

أن استقلالية الحوار وديمقراطيته تتطلب إجراء تغييرات جذرية في تصور الأديان لذاتها ولعلاقاتها بالأديان الأخرى

فالديانات الأقدم في الظهور تعتبر نفسها أصلا للديانات الأحدث ومن ثم تنظر إليها نظرة لا تعترف فيها باستقلال هذه الديانات، وتصر على تبعية هذه الأديان لها. ومن مظاهر الديمقراطية في الحوار

الديني حق كل دين في التعبير الحر عن مفاهيمه واعتقاداته وعن طريق ممثليه الشرعيين في الحوار وبدون تدخل من المحاورين غير المنتمين إليه، ويقتصر دور المحاورين من خارج الدين على طرح التساؤلات الهادفة إلى مزيد من الفهم وإعطاء رأي دينهم أو موقفه من المسألة المطروحة للبحث والحوار، وفي المحاولة المشتركة للوصول إلى حل معين أو موقف ديني موحد إن أمكن ذلك، أو في تبادل الآراء والتوفيق بينها للوصول إلى نوع من التقريب للرؤى المعروضة.

ومن مظاهر ديمقراطية الحوار عدم ممارسة الضغوط الدينية على المحاورين بهدف توجيه الحوار لخدمة هدف معين، أو توظيف الحوار لتحقيق مصلحة دينية خاصة على حساب الأهداف العامة المشتركة للحوار بين الأديان. إن هدف الحوار تبادل الآراء لا رفضها، فلا سيد ولا مسود في الحوار بين الأديان من حيث المساواة التامة بين المتحاورين وبين دياناتهم.

ثالثا: استمرارية الحوار

من طبيعة الحوار الاستمرارية وهي مطلوبة في كل أشكال الحوار مثل الحوار السياسي والاقتصادي، لكنه في هذه الأشكال قد يصل إلى نهاية مع تمام الوصول إلى حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية، أو ينقطع قبل الوصول إلى هذه النهاية الإيجابية، أما الحوار بين الأديان فهو حوار متواصل لا ينقطع، فموضوعات الحوار لا تنتهي، ومجالات التحاور مفتوحة بصفة دائما[14]، وقضايا الأديان لا تتوقف لتقديم الحلول للمشاكل الإنسانية المعاصرة، كما أن مشاكل الأديان في علاقاتها ببعضها البعض كثيرة وحساسة وتحتاج إلى مثابرة وصبر وجهود ضخمة من المتحاورين.

إن الحوار بين الأديان عملية فكرية متواصلة ومستمرة، ولا يمكن وضع نهاية لها ولاستمرارية الحوار

إن الحوار بين الأديان عملية فكرية متواصلة ومستمرة، ولا يمكن وضع نهاية لها ولاستمرارية الحوار لابد من تربية أجيال من المتحاورين وإعدادهم للعمل التحاوري بين الأديان باعتباره عملا

(14) محمد (عبد الرحيم الزيني)؛ منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد 39، بيروت، سنة 1999، ص: 65.

متواصلا فالتقاء الأديان من الأمور المطلوبة والحتمية ويساعد على استمرارية الثقة في ضرورتها وأهميتها، والإيمان بأهداف الحوار، والرغبة في تحقيقها، والإخلاص لها[15].

(15) كما ان صعوبات الحوار بين الأديان تحتاج إلى إيمان عميق بقيم الحوار الروحية والإنسانية، كما تحتاج إلى الإعداد الروحي والعلمي من جانب المتحاورين، بل هي تتطلب عدة مواصفات وشروط في المتحاور وتوفر عدة شروط وآداب للحوار.

رابعا: روحانية الحوار

ويعتمد الحوار على معيار الروحانية واستيعاب القيم الدينية الموجودة في الأديان المتحاورة فهو حوار روحاني يهدف إلى توصيل القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية التي تحتوي عليها ديانات العالم إلى كل المؤمنين بهذه الأديان، وهذا بخلاف الحوار السياسي والاقتصادي وغيره من أشكال الحوار التي تهتم بقضايا وقتية تنتهي بانتهاء أسبابها أو بتمام الوصول إلى علاج لها. أما قضايا الحوار بين الأديان فهي قضايا روحانية في طبيعتها والحوار حولها ينمي الشعور الديني العام، ويثري الخبرة الدينية لدى المتحاورين ويؤدي إلى تغير في الشخصية الدينية فيعمق فهمها لذاتها وفهمها للآخرين حيث يكتسب المحاور خلاصة الفكر الروحي في كل الأديان. ولأن الحوار بين الأديان حوار روحاني فهو يحتاج إلى لغة دينية قادرة على توصيل المادة الروحية والقيم الدينية الكامنة في الأديان[16].

(16) ولتحقيق هـذا لابـد من الابتعاد عن لغة الجدل الديني الدفاعي والهجومي، لأنها لغة تنفير وطـرد للروحانية وإيقاظ وإثارة لعوامل الصراع والتحدي والنزاع بين الأديان.

ولأن الحوار بين الأديان حوار روحاني فهو يحتاج إلى لغة دينية قادرة على توصيل المادة الروحية والقيم الدينية الكامنة في الأديان

خامسا: من أهم شروط نجاح الحوار بين الأديان هو أن يتم هذا الحوار بين متدينين من أهل الأديان على قدر من العلم والثقافة بالآخر دينيا وثقافيا، فالحوار القائم على الجهل لا يمكن أن ينجح. ولذلك فالحوار بين الأذيان هو في حقيقة الأمر حوار بين علماء يعرفون الأديان والثقافات الأخرى ويرحبون بالتعامل معها، ويحكمون العقل في مناقشاتهم، ويبتعدون عن العاطفة والمشاعر، ويعتمدون على المنطق والمنهج العلمي. ولذلك يفهم من الحوار بين الأديان أنه عادة ما يكون حوارا بين علماء وليس حوارا بين عامة الناس، الذين يحكمون مشاعرهم وعواطفهم ولا يعطون للعقل عادة دورا في إدارة الحوار ومناقشته. ومثل هؤلاء يسيطر عليهم التعصب الديني ولا يأخذون بمبادئ

التسامح ولا يعتمدون على العقل في حوارهم مع أهل الدين الآخر.

سادسا: ومن شروط نجاح الحوار بين الأديان أن يشعر المتحاورون بنوع من الود تجاه أطراف الحوار الأخرى وأن تسيطر عليهم روح التسامح والحب والرغبة في المعرفة وتقديم الخدمة الإنسانية للجميع، وأن يكون الحوار روحيا يسعى إلى تعميق تجارب أهل الأديان. وتحقيق الاستفادة الروحية من الحوار من خلال معرفة الدين الآخر، وطرائق الوصول إلى الحقيقة فيه. وتعميق التجربة الدينية الواحدة ومعرفة تجارب الأديان الأخرى بعيدا عن الخلافات العقيدية التي لا تعطي فرصة للتأمل الديني، ومعرفة ما هو إيجابي في الأديان الأخرى.

شروط نجاح الحوار بين الأديان أن يشعر المتحاورون بنوع من الود تجاه أطراف الحوار الأخرى

المبحث الثاني: أسس التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام والتحديات التي تواجهه

لقد أثبت التعايش الديني في الإسلام مبادئ أبدية مهمة جدا سواء بين المسلم وغيره أو بين الدولة المسلمة وغيرها، وكلها تنبني على السلم والتسامح والعدل والمساواة وتهتم بجميع أنواع مجالات الحياة البشرية (المطلب الأول)، إلا أنه على الرغم من ذلك لا زال يواجه تحديات وتهم ملفقة لتشويه صورته ومحاربته من طرف أعداء الإسلام.

المطلب الأول: مبادئ التعايش في الإسلام وجوانبه:

أتناول في هذا المطلب مبادئ التعايش، وجوانبه مع غير المسلمين سواء كانوا داخل المجتمع المسلم أم خارجه مثل المجتمعات الغربية التي يهاجر إليها بعض المسلمين طلبا للرزق أو للدراسة أو غير ذلك.

أولا: مبادئ التعايش في الإسلام:

العلاقة بين المسلم وغيره في المجتمع المسلم تقوم على مبادئ واضحة، هي:

أ- السلم وليس الحرب: تقوم العلاقة بين المسلم وغير المسلم أو الدولة المسلمة وغير المسلمة على الإحسان وحسن المعاملة[17]، فمن الآيات التي تأمر بالسلم والمسالمة، قوله تعالى «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم» الأنفال 61.

وقوله تعالى «قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» الجاثية 14.

تجلت روح التسامح عند النبي «ص» في عفوه عن أهل مكة يوم الفتح، وكان بإمكانه أن يأسرهم أو يقتلهم، بل قال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[18] فهذا الحديث يفهم منه مشروعية معاملة المشركين بالعفو والإحسان رجاء إسلامهم.

العدل بين الناس: من المبادئ المهمة التي تقوم عليها العلاقة بين المسلم وغير المسلم لتحقيق التعايش السلمي، مبدأ العدل، فالعدل أساس الملك، والعدل غايته حماية الحقوق ونشر الأمن والرحمة والسلام بين الناس جميعا، قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» النساء 58. فكلمة الناس عامة تشتمل المسلم وغير المسلم، والمسلم مأمور بالعدل مع الناس جميعا. وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو[19].

من المبادئ المهمة التي تقوم عليها العلاقة بين المسلم وغير المسلم من أجل التعايش السلمي بينهما، مبدأ المساواة

ب- المساواة بين الناس: من المبادئ المهمة التي تقوم عليها العلاقة بين المسلم وغير المسلم من أجل التعايش السلمي بينهما، مبدأ المساواة، الذي يؤكد وحدة الأسرة البشرية، قال الله تعالى «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» الحجرات 9، أي الجمع من آدم وحواء، إنما الفضل بالتقوى[20] فالأصل واحد، مهما اختلفت أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ومجتمعاتهم، كلهم لآدم وآدم من تراب،

(17) ينظر: المطعني (عبد العظيم)؛ مبادئ التعايش السلمي في الإسلام، ص: 36- 37، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، الأصل في علاقة المسلم بالكافر أنها تقوم على السلم وليس الحرب، بهذا قال سفيان الثوري وسحنون من المالكية، ونسب لابن عمر رضي الله عنه.

(18) أخرجه البيهقي في السنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، 9-118، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، -1414 1994، حديث رقم (18.55)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

(19) السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376ه)، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420ه- 2000م.

(20) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، 16-341.

فلا فضل لعربي على عجمي، ولا فضل لأبيض على أسود، ولا فضل لقوي على ضعيف، وإنما التفاضل يكون على أساس الإيمان والتقوى.

ثم دعا الإسلام بعد أن قرر مبدأ المساواة بين البشر، وأبطل العنصرية بكل صورها وأشكالها، إلى مبدأ التعارف بين الناس، فهو مقصد إنساني لما يجعله من منافع وفوائد تحقق الخير للفرد والمجتمع[21]. فالفضل بين الناس في أمور الدين والمعتقد خاص بالله تعالى، ولا يكون في الحياة الدنيا، وإنما يكون يوم القيامة[22]. وبهذا يكون الإسلام قد أغلق أبواب الفتنة بين الناس، وهي دعوة لهم أن لا يثيروا هذه الخلافات الدينية التي لا فائدة من التعصب لها، ووقوع الفتن والمشكلات بسببها، عليهم أن يستشعروا الرابطة الأسرية الكبرى التي تربطهم للعيش بسلام ووئام بينهم

(21) ينظر: أوقاسين كمال، مبادئ التعايش الدولي في الإسلام، ص: 2.

(22) ينظر: السعدي (عبد الرحمان)؛ تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص:535.

ثانيا: التعايش في الجانب الديني:

أساس القرآن الكريم التعايش الديني في المجتمع المسلم، حيث يعيش المسلم جنبا إلى جنب مع أتباع الطوائف الأخرى من اليهود والنصارى وغيرهم، قال تعالى «لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» البقرة 256. وقال تعالى «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» هود 119، أي لا يزال الناس مختلفين على أديان شتى إلا من رحم الله، فهم على ملة الإسلام ولا اختلاف بينهم.

يؤسس القرآن الكريم للتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، فيذكرهم أن أصلهم واحد، وهو آدم وحواء

ثالثا: التعايش في الجانب الاجتماعي:

يؤسس القرآن الكريم للتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، فيذكرهم أن أصلهم واحد، وهو آدم وحواء، ومنهما كانت الشعوب والقبائل، والتنوع والاختلاف في الأديان والأشكال، ولا فضل لعربي على عجم، ولا أبيض على أسود، كلهم سواء ميزان التفاضل بينهم التقوى والقرب من الله تعالى، ولكن عليهم أن يغتنوا ذلك الاختلاف والتباين بينهم في

التعارف الدائم، والتعاون المثمر، والنفع المشترك، قال تعالى «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» الحجرات: 13، فلا بد من التعارف بينهم، فإنه لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها[23].

(23) السعدي تيسير الكريم الرحمان، ص: 802.

رابعا: التعايش في الجانب الاقتصادي:

أمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء بالعقود، لأن مما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، فالمسلم في تعامله مع المسلم وغير المسلم عليه أن يلتزم بالعهود التي يلتزم بها ولا يخون ولا يغدر، ولا ينقض منها شيئا، فهي دين يدين الله به. قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» المائدة 1.

العلاقة بين المسلم وغير المسلم والدولة المسلمة وغير المسلمة تقوم على الإحسان وحسن المعاملة

خامسا: التعايش في الجانب السياسي:

سبق الحديث بأن العلاقة بين المسلم وغير المسلم والدولة المسلمة وغير المسلمة تقوم على الإحسان وحسن المعاملة، وقد أمر الله المؤمنين بقبول السلم والمسالمة، إذا مال عدوهم إليه، قال تعالى «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم» الأنفال، فالله تعالى يقول لنبيه «وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية،

وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسلوكه»[24]، فهذه دعوة صريحة للتعايش مع الدول المجاورة التي لا تعادي الدولة المسلمة ولا تعادي المسلمين، بأن يبادلوها السلام والأمان. والنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد رغبته في التعايش والتعاون مع غير المسلمين في نصرة المظلوم ونشر السلام والأمن في العالم.

(24) الطبري، جامع البيان، 41-40.

حكم الاستعانة بغير المسلم:

فقد ذهب جمهور العلماء إلى جواز الاستعانة بغير المسلم في الجملة في بعض الأعمال التي يتقنونها في غير القربات سواء كانوا من أهل الكتاب أم مشركين[25]، فقد استأجر النبي صلى الله عليه وسلم كما في قصة الهجرة إلى المدينة بعبد الله بن أريقط دليلا، وكان كافرا، وكان ماهرا بالطريق، واختلف العلماء في الاستعانة بهم في القتال، والجمهور على الجواز عند الضرورة[26]، فهذا يدل على أن الإسلام يتعايش مع الكفار حتى في المسائل المهمة التي تحتاج إلى سرية وأمانة. كما يدل على استعمالهم فيما يتقنونه من أعمال إذا كانوا أمناء ويمكن الانتفاع بهم.

(25) يمكن الرجوع إلى وزارة الأوقـاف والشؤون الإسلامية- الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، -4 18، الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الطبعة: (من -1404 1472ه)، الموسوعة الشاملة.

(26) نفس المرجع.

المطلب الثاني: أبرز التحديات التي تواجه التعايش الديني والاجتماعي

إن تحقيق التعايش الديني والاجتماعي في المجتمعات الحاضرة - لا سيما في المجتمعات الغربية - تقابله عدة معوقات أو تحديات، تحول دون تحققه على الوجه الكامل، ومن أبرزها مايلي:

أولا: ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا).

كل يوم يخرج علينا الغرب بإساءة إلى الإسلام، أو نبي الإسلام، وتاريخ الإسلام، وتستمر الإساءة للمسلمين كل يوم بأشكال متعددة، تتداولها وسائل الإعلام كلها في الشرق والغرب، وحينما يحتج المسلمون على ذلك بالكلام أو المظاهرة السلمية والخطب في أيام الجمع، أو بالرد بأي وسيلة إعلامية، نرى الحاقدين مرة يعتذرون بسوء فهم المسلمين لهذه الممارسات، فيتهمونهم بقصور الفهم، أو

الحساسية الشديدة، ولا ندري متى يجوز أن تكون الحساسية شديدة، إذا لم تكن في المساس بالعقيدة الدينية[27].

لقد وصل الأمر بالدول الكبرى وخاصة أمريكا إلى اعتبار كل مسلم إرهابيا، وجعلوا الدين الإسلامي دينا إرهابيا، وهكذا وصلوا إلى درجة وصم الإسلام كله بأنه إرهابي ودين إرهـاب، وبدأوا يضخمون المعلومات الساذجة، التي أخذوها عنه؛ لكي ينسجم مع هذا الوصف.

ولما وقعت أحداث 11 أيلول، فرحوا بها، لأن المشاركين فيها من المسلمين- كما يقولون-وأصبح المسلمون كلهم موضع تهمة، ناسين أن أحداثا مثلها وقعت في أمريكا، وقام بها أمريكان، وهذا يعكس حيلة اتهامهم وقصدهم السيء بأنه الإسلام بكل عمل إرهابي - كما يصفونه هم.

وهكذا ظهر عندهم ما يسمونه (الإسلاموفوبيا)؛ أي الخوف من الإسلام، متناسين أن هناك فرقا كبيرا بين المسلمين والإسلام، وليس كل ما يقوم به مسلم من أعمال - خاصة السيئة منها-يجب أن يوصم الإسلام كله به، فلو أجرم أمريكي، هل يمكن إعمام ذلك على أمريكا كلها بمبادئها؟ وهل إذا أخطأ مسيحي يجب وصم الدين المسيحي بهذا الخطأ؟

إن مراجعة تاريخية للفكر الغربي الحقيقي الذي كان سائدا في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تظهر لنا أن بعض الكتاب الكبار كانوا يتحدثون عن الإسـلام، والمسلمين، ونبي الإسلام، بكل تقدير واحترام، وفخر واعتزاز.

فمثلا نجد كاتبا كبيرا مثل توماس كارليل الذي يعتبر أكبر عقلية إنجليزية بعد شكسبير يضع الرسول الكريم وسيرته في كتابه «الأبطال»، ويصفه بأعظم الأوصاف العظيمة، يقول عنه: «لا شيء أكبر دلالة على صدق نبوة محمد من أن يؤسس ديانة يجد فيها نحو مائتي مليون من الأنفس غذاءهم الروحي، وتقاوم عوامل التحليل في مدى أكثر من اثنى عشر قرنا، ثم علينا ألا ننسى شيئا، وهو أن محمد

(27) أحمد (عبد الله راجع العتيبي)؛ التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام وتحدياته المعاصرة، دراسة دعوية فقهية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المانيا، ص: 2549.

لم يتلق درسا من أستاذ، ويظهر لي أن الحقيقة أن محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هوعيشه في الصحراء وأحوالها، وكل ما وفق لمعرفته هو ما أمكن أن يشاهد بعينيه، وأن يتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية، وعجيب والله أمية محمد[28].

(28) محمد رسول الله – محمد الصادق عرجون – دار جوامع الكلم، القاهرة، 2004، ص: 20.

والحال نفسه في الفكر الفرنسي من جان جاك روسو إلى غوستافلوبون، إلى لامرتين إلى غارودي وغيره، كلهم يتحدثون عن الإسلام بشهادات قيمة، ويتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بشكل جميل، ومدح كبير، رغم أنهم لم يسلموا.

إذا؛ فالخوف من الإسلام ليس له ما يبرره حضاريا، ولكن الخوف الذي لا موضوع حقيقي له إنما يندرج في محاربة الإسلام قبل أن يفهمه المحاربون، وبهذا خلقت هذه الموجة من الخوف والإخافة المفتعلة مرضا نفسيا حقيقيا في الغرب، وبذلك يكون من يدعون إلى الخوف من الإسلام إنما يمارسون على شعوبهم خوفا كاذبا، يستدرون به عطفهم وانفعالاتهم ضد الإسلام، وهو إنما دفاع عن انتشار الإسلام نفسه، كحقيقة دينية سماوية بدا عقلاء وفلاسفة الغرب أنفسهم يعترفون به ويؤمنون بها.

إذا؛ فهذا الخوف الكاذب المفتعل إنما هو سياسة للوقوف بوجه الحقيقة؛ كي لا تأخذ مجالها للانتشار في وسط الشعوب الغربية الفقيرة – نتيجة حضارتها المادية – إلى نفحة روحية؛ لكي يتوازن المادي مع الروحي، والجسدي مع العقلي؛ وهو مما يسهم في إعاقة التعايش بين المسلمين الآخر.

ثانيا: ظهور الجماعات المتطرفة.

إن التطرف ظاهرة عالمية قديمة، لها جذورها التاريخية، وأبعاد أخرى كثيرة، قد تكون اقتصادية، أو أخلاقية، أو سياسية، وإن التطرف – أيا كانت توجهاته – يؤدي في النهاية إلى الإرهاب البغيض، وإن الإرهاب الذي يلصقه البعض «بالإسلام» ظلما وزورا ليس له دين أو وطن.

إن المتأمل المنصف من ذوي العقول المتفتحة والضمائر الحية

يجد أن الجرائم الإرهابية التي ترتكب في حق الإنسانية جمعاء تثبت يوما بعد يوم حقيقة أن «الإرهاب لا دين له، وإنما هو وليد التطرف؛ أنه انحراف فكري وإيديولوجي، فالأديان كلها تدعو إلى الحب، والسلام. والإسلام دين الرحمة، وما أرسل الله نبي الإسلام «إلا رحمة للعالمين».

إن المجتمع الإسلامي يعاني في الفترة الأخيرة من ظهور جماعات متطرفة وعنيفة باسمه، وهذه الجماعات بمختلف مسمياتها لا تزال تكفر المجتمعات، وتستبيح الدماء المعصومة، وتعبث في الأرض خرابا وفسادا وتدميرا، وتلك ممارسات حاربتها العقيدة الإسلامية بمبادئها وتشريعاتها.

وإزاء ذلك فإن جميع دول العالم مطالبة اليوم بمواجهة تلك الظاهرة ومحاربتها والحيلولة دون تمددها، وبمحاربة كافة التوجهات الداعمة للتنظيمات الإرهابية، ولكل الأصوات المروجة للطائفية والحزبية، معلنين للعالم كله: إن الإسلام دين يرسخ الأخوة والسلام والمحبة والتسامح بينه وبين البشر، بخلاف ما يروج له الحاقدون، كما أن هناك نصوصا كثيرة وردت في القرآن الكريم تدعو إلى التعايش السلمي بين البشر، على مختلف انتماءاتهم ومعتقداتهم وأصولهم.

ثالثا: المواقف الفقهية الحادة.

المشكلة الثالثة التي تواجهها نظرية التعايش السلمي ومبدأ التعامل الإنساني في الإسلام، هي صعوبة تفسير بعض المواقف الفقهية الحادة، التي قد يبدو أنها على الضد من روح التعايش وأخلاقية التعامل الإنساني[29].

الحقيقة أن الإسلام لا يمنع من العمل المشترك مع الآخرين من أبناء الأديان والاعتقادات الأخرى، وعلى مختلف المستويات، الشيء الذي يمنعه الإسلام هو ما يمكن أن نسميه بحالة (التداخل في الحياة الشخصية) على مستوى المأكل والملبس والمنام.. وما إلى ذلك، بهدف تحقيق الحصانة الذاتية للمسلمين من ناحية، وإشعار الآخرين بأنهم على غير الاتجاه الصحيح من ناحية أخرى.

(29) مثال ذلك الحكم الشرعي بنجاسة الإنسان الكافر (نجاسة حسية) الذي لا يؤمن بالله تعالى ونجاسة أهل الكتاب أيضا – حسب بعض الآراء الفقهية- قد توصف هذه المواقف بأنها حادة، وأنها لا تنسجم مع روح التعايش وأخلاقية التعامل الإنساني مع الآخرين، كما تدعو له النظرية الإسلامية.

خـــــاتمــة:

كانت السمة البارزة للمجتمع الغربي عقب أحداث 11 سبتمبر هي إظهار العداء للإسلام والمسلمين، مما يستلزم من المسلمين أن يدركوا أهمية التعايش في المجتمع المسلم أو غير المسلم مهما اختلفت الأديان والمذاهب، لما له من أثر عظيم في نقل صورة حقيقية عن معتقداتنا وديننا. كما تقوم العلاقة بين المسلم وغير المسلم وبين الدولة المسلمة وغير المسلمة على الإحسان وحسن المعاملة.

لقد أصبح الحديث عن محاسن الإسلام وهويته الحقيقية موضوع الساعة في الكثير من البلدان الأوروبية وأمريكا، وهذا يؤكد ضرورة الدعوة إلى الله تعالى والعمل على التعريف بالإسلام وتعاليمه السمحة.

كما أن التعايش بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمس حياة الإنسان من قريب، وليس فيما لا نفع فيه، ولا طائل تحته.

لائحــة المراجـــع:

• أحمد (عبد الله راجع العتيبي)؛ التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام وتحدياته المعاصرة، دراسة دعوية فقهية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم – جامعة المانيا.

• السعدي عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376ه)، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420ه- 2000م.

• المطعني (عبد العظيم)؛ مبادئ التعايش السلمي في الإسلام، ص: 36- 37، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.

• صادق (محمد الجبران)؛ من اجل قواعد للحوار الإسلامي، مجلة رسالة التقريب، طهران، 1999.

• صوفي (أبو طالب)؛ الحوار بين الأديان في كتاب: الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، القاهرة 1996. عدنان (رضا النحوي)؛ قاعدة الأخوة في الحوار الإسلامي، مجلة رسالة التقريب، العدد 23، طهران، 1999.

• علي (فهد الزميع)؛ الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 15، القاهرة، 1996.

• عبد العزيز (التويجري) الهوية والعولمة، رسالة التقريب، العدد 23 طهران، 1999م.

• محمد (خليفة حسن)؛ الحوار بين الأديان، أهدافه وشروطه والموقف الإسلامي منه، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، دولة الإمارات العربية، مارس 2003.

• محمود (حمدي زقزوق)؛ القرن الجديد وخيار الحوار الحضاري، الأهرام 1999/8/23.

• محمد (عبد الرحيم الزيني)؛ منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد 39، بيروت، سنة 1999.